The changing identity in the novels of Duna Ghaly

Researcher Huda Yasser Muhammad
University of Basrah / College of Arts
E-mail: Hudayaser820@gmail.com

Assist. prof. Dr. Raed Fouad Taleb
University of Basrah/ College of Arts
E-mail: raid.fuad@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This research paper focuses on clarifying the changing identity, and the influences that may push the individual to change his identity, refusing, leaving or forced to abandon the ideas, beliefs and affiliations that he embraced before the change in his identity, through the narrative output of the Iraqi writer (Duna Ghali) represented by According to the following narrations: (The furthest point, when the smell awakens, the homes of the beast, its shelter stomach). The research takes its course towards defining identity in a brief manner, and how it is closely related to the individual, as it is a guide to self-awareness, as well as an indication of the changing identity and the factors that push it towards change, especially since the identity is of an unstable gel form, so the research moves after that to the applied aspect of reading and analyzing texts Narrative selected from the novels.

Key word: Identity**,** changing identity , Representations of identity in the novels of Dony Ghaly

الهُوية المتغيرة في روايات دُنى غالي(*)

الباحثة هدى ياسر محمد أ.م.د. رائد فؤاد طالب
جامعة البصرة / كلية الاداب
E-mail: Hudayaser820@gmail.com E-mail: raid.fuad@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يركز هذا البحث على بيان الهوية المتغيرة، والمؤثرات التي قد تدفع بالفرد لتغيير هويته، رافضا أو تاركا أو مجبرا على التخلي عن الأفكار والمعتقدات والانتماءات التي كان يعتنقها قبل التغيير الذي طرأ على هويته، وذلك من خلال النتاج السردي للكاتبة العراقية (دُنى غالي) والمتمثل بالروايات الآتية: (النقطة الأبعد، عندما تستيقظ الرائحة، منازل الوحشة، بطنها المأوى). فيأخذ البحث مساره نحو تعريف الهوية بشكل موجز، وكيفية ارتباطها الوثيق بالفرد، فهي دليل الوعي بالذات، فضلا عن بيان الهوية المتغيرة والعوامل التي تدفع بها نحو التغير، لينتقل البحث بعد ذلك إلى الجانب التطبيقي لقراءة وتحليل النصوص السردية المنتقاة من الروايات.

الكلمات المفتاحيه: الهُوية ، الهُوية المتغيرة ، تمثلات الهُوية في روايات دُنى غالي .

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة : **الهُوية في روايات دنى غالي** .

مقدمة:

تعد الهُوية المرتكز الأساس في إظهار وإيضاح الفرد أو الشخصية، فهي الأداة التي يُعرف ويتعرف الشخص من خلالها، فالوعي بالهوية هو دليل الوعي بالذات، خاصة وأنها تستمد وجودها من المعاني التي تتبلور في الوعي متمثلة في الانتماء والوجود، وتحقيق الذات للفرد، والمواطنة، وعدم الشعور بالدونية. ومن المعروف أن تركيبة المجتمع العراقي تضم هويات متعددة، منها فرعية تشظت عن الهوية الوطنية، وأخرى منزوية أو خاملة ثابتة، أو رافضة كارهة، وربما انبثقت هويات جديدة خلال الازمات والمشاكل السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق في السنوات الأخيرة، إذ شهدت بعض الهويات تمزقات وتصدعات عديدة، وكل ذلك كان جديراً بالدراسة والتحليل والمتابعة، فالهوية مثلما تكون فردية، قد تكون جمعية، مركزية أو فرعية، وقد تكون نسوية، بما تحمله المرأة من هُوية تميزها من خلال جسدها، أو من خلال منظور الرجل لها، أو منظورات أخرى يمكن أن تصنف الهوية على وفقها، إلا أن هذا البحث سيقتصر على رصد الهوية الفردية المتغيرة في النتاج الروائي المختار.

وقد جاءت هذه الدراسة على وفق المنهج السوسيوثقافي، الذي باستطاعته التواصل مع المناهج النقدية التي تبحث في الانساق المضمرة للنصوص الروائية، وجرى توظيف المنهج بشكل فاعل لمحاولة تشكيل رؤية واضحة لدلالات النصوص، وكشف خوافيها، واستكناه مكوناتها، لتسليط الضوء على مسألة الهوية وكيفيات تمثيلها في الروايات، وعناصر تشكلها، ودواعي بروزها.

الهوية المتغيرة:

تداخلت في موضوع الهوية مؤثرات عديدة، وتخللته تعقيدات كثيرة، منها الأدوار التي لعبتها الأنظمة الحاكمة، ومنها موقع الإنسان ذاته، ومدى قدرته على إحداث التغيير الفردي أو في إطار الجماعة، أو سعيه لتخطي الهامش وما يشتمل عليه من سلبيات، ومحاولة القفز نحو المتن بكل جرأة وثبات. فالمعروف ان الهوية هي رباط الإنسان ومحرك تغيراته النفسية والاجتماعية والثقافية، وعلى هذا النحو فإن (الفاعل الاجتماعي –الإنسان – لا يوجد في فراغ بل ينطلق من حياة داخلية ويأخذ وضعيته في إطار علاقات اجتماعية)[١] ، خاصة وان مفهوم الهوية (مفهوم شمولي ذو دلالات بالغة التنوع)[٢] ، فغالبا ما يكون (الإحساس بالهوية مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء، والتكامل، والإحساس بالاستمرارية الزمنية، والتنوع، والقيم، والاستقلال، والثقة بالنفس، والإحساس بالوجود)[٣] ، وعليه فإن ما يعتري الهُوية من أزمات يكون العامل النفسي الشعوري هو المسبب تحت تأثير عوامل الكبت والتزعزع أو التشظي، أو عوامل أخرى متعددة تشتمل على مشاعر الإنسان. وبالتالي فالوجود الإنساني يزخر بتعدد الهويات واختلاف الثقافات، وهذا التعدد الهوياتي نابع من المتغيرات والأحداث والعوامل التي تدفع الفرد إلى

النفور أو اكتساب الهوية، على وفق نظرته الفلسفية للعالم، والمكون الاجتماعي الذي ينتمي إليه، فالهوية ذات طبيعة هلامية إذ (تتطور وفقا لمنطقها الخاص الذي يتجسد في عمليات التقمص والتمثل والاصطفاء. وهي في سياق تطورها تتحدد على نحو تدريجي، وتعيد تنظيم نفسها، وتتغير من غير توقف وذلك إلى حد تكون فيه قادرة على تحديد خصوصية الكائن الإنساني)[٤].

ومن هذا التعدد الهوياتي نلاحظ الهوية الفردية المتغيرة أو المغايرة، التي تُعرف باختلاف هوية الشخص عن هوية غيره من الناس، أو من خلال مقاومة الأفكار والمعتقدات والتصرفات التي لا يتقبلها الفكر الفردي، فينشئ لنفسه هوية مختلفة لا تخضع للإكراه الذي يفرضه الواقع من أجل تشكيل الهُوية[٥].

تمثيل الهوية المتغيرة في رواية النقطة الأبعد:

مرت الشخصيات الروائية في روايات (دنى غالي) بظروف مختلفة وانتقلت بين أفكار متباينة، ما منحها هويات تغييرية، أو متغيرة، أو مغايرة لما هو عليه واقعها. ويمكن ان تتضح هذه المغايرة في الهوية من خلال تتبع الدور السردي الذي تلعبه الهوية، أو من خلال الآخر الكاشف لها، فضلا عن الخطاب المونولوجي الذي تضمره الروايات؛ لكشف هوية بعض الشخصيات من خلال حديثها مع ذاتها، وبيان التغيرات التي طرأت عليها. ففي رواية (النقطة الأبعد) يظهر البطل (فلاح) من خلال صوت السارد، لِيوضح ما طرأ عليه من تغيرات في بناء هويته الفردية فيقول: **(بدخوله الجامعة بدأ يهتز لفكرة استقلاله وكسبه لنفسه. إمكانية انفصاله عن البيت بعد بضعة سنين أدهشته)**[٦] ، فبعد دخوله الجامعة بدأ يلملم بنيات أفكاره ليخلص إلى فكرة استقلاله والعمل الخاص به بعيدا عن محل العقارات الراجع لأخيه. راح يحلم كثيرا لتمضي السنين به سريعا ليحقق لنفسه إمكانية انفصاله عن أهله، الأمر الذي جعل فكرة التغيير راسخة في مخيلته، إلى أن حقق ذلك فأصبح مستقلا بعمله وبعيدا عن أهله. فمن خلال ذلك يتضح ان الهُوية في حركة دائمة وقابلة للتعديل والتطوير أو قد يُعمل عليها أحيانا كما خطط لذلك (فلاح) من ناحية الاستقلال.

هذه الهوية الفردية المغايرة لـ(فلاح) استمرت معه في كل احداث الرواية، فالنزوع نحو التغيير جعل منه شخصا مختلفا عما كان عليه، إلى أن **(صارت الوجوه التي يعرفها قليلة، والتي يخشاها كثيرة، .... تضاعف شكه بمن أتوا مؤخرا. ازداد تورطه، وازدادت التحذيرات)**[٧] ، (فلاح) الأستاذ الجامعي، الذي ينتمي للطبقة المثقفة من المجتمع، قد بات قلقا من الوجوه المتعددة، خاصة وان النادي الذي كان يتردد عليه كان حصرا للأساتذة والأطباء والبعثيين القدماء، فأصبح يخشى كثيراً من هذه الوجوه ، وأصبح من يعرفهم قليلون، فقد انضم لهذا النادي أشباه هذه الفئات الاجتماعية، خاصة وان الجو الحزبي السياسي بات مخيما على الجميع، إذ غلبت مهمات حزب البعث على مهمات الجامعة، فتدخل الحزب بالواجبات الجامعية وفرض على الأساتذة فرضاً، مما أشعره بتورطه، وتهديده في حال عدم الاستجابة والخضوع لمتطلبات الحزب، وهذا

ما جعل الشك والريبة يصلان لداخله ممن يحيطون به، الأمر الذي خلق منه شخصا ذا هوية مغايرة حذرة ويملؤها الشك. فالتغيرات التي تطرأ على الإنسان اجتماعيا أو سياسيا أو حتى دينيا تجعل منه شخصا حذرا لا يتكيف مع ما يحيط به بسهولة، وهذا بالفعل ما حدث لـ (فلاح).

أما (بشرى) الموظفة ضمن الملاك العام لوزارة التربية، ذات الشخصية المناهضة لواقعها، فلم تتردد لحظة بأن تثور عندما حظيت بطلب يدها للزواج بعدما اقتربت من سن الثلاثين، فقد **(تدبرت أمر أبيها. لقنته بزواجها درسا. جعله يرسل بطلبها، ... ليبارك لها وهو يفرك بيديه. ... ضاقت بسلطته، وبخله، بالطعام، الملبس، ... ضاقت من حاجتهم المستمرة حد اضطرارها للسرقة أحيانا)**[٨] ، أخذت (بشرى) ثأر السنين بهذا الزواج، فقد لقنت والدها درسا عن كل ما عانته داخل ذلك البيت المتسلط والدور البطريكي الذي مُورس عليها من قبله، جعلته بخروجها عن العادات والتقاليد يطأطئ رأسه، ويرسل في طلبها، ليتخلص من الموقف المشين الذي وضعته فيه أمام الأهل والجيران، فبارك زواجها نادماً. فالهوية الفردية لـ(بشرى) اتسمت بالمغايرة بخروجها عن العادات والتقاليد، وكسر سلطة الأبوة، واتخاذ قرارها بنفسها دون الرجوع لأحد، فأصبح محور التغير في الهوية هو الخروج عن الطاعة والميل نحو التمرد والتذمر.

وحتى عندما تزوجت لم تفارق (بشرى) هذه الهوية التغييرية. إذ توضح الساردة ذلك بقولها: **(يوم آخر يجب ان تبحث فيه عن عزم آخر، تحمي فيه طفليها. وجودها ضروري. ضربات هذا القلب آن لها أن تهدأ. وجودها وهي تتلفت حولها الآن تغير. ... ولا سلاح تستعين به سوى عزيمتها. وجودها تشكل مرة أخرى، ... وجودها هذا اليوم سيتشكل دون فسحة تذكر لخالد. ... صار كيانها آخر. جمعت شتاتها، لا مكان للأمس)**[٩] ، إذ يشير هذا الاقتباس إلى حالة (بشرى) التي أزاحت مخاوفها جانبا لأن الوضع بات يتطلب ذلك، فهي لا تحمل سلاحا تستعين به ليحميها سوى عزيمتها. أعادت تشكيل وجودها دون ان تجعل لـ(خالد) تأثيراً في ذلك. (بشرى) اليوم لا تشبه (بشرى) الأمس، فقد جعلت من الظروف والمصاعب عزما لها لتجمع شتات امرها فتخرج بهوية شخصية جديدة ومغايرة.

ومن تمثيلات تغير وتبدل الهوية في الرواية ما جاء على لسان (عادل) إذ **(يقول: كل شيء هنا مختلف، صرنا مختلفين، نحن لسنا نحن، فقد تغيرنا تماما، لم يبق غير أسمائنا)**[١٠] ، (عادل) الذي اختار ان يعيش في دول الغرب، صديقاً لـ (فلاح و وفاء)، إذ تعرف عليهما عند وفودهما إلى انجلترا، يحاور عادل، وفاء ليبدي مدى الاختلاف في هذه الدولة، إذ لا شيء يشبه ما في العراق، حتى أدى بهم هذا الاختلاف إلى أن يتغيروا، فانسلخت عنهم هوياتهم، فهم ما عادوا يشعرون بأنهم هم، فالتغير طرأ عليهم ما ان انتقلوا للسكن فيها، ما عاد شيء ثابت على أصله إلا الاسم الذي يحملونه، وهذا قد يدل على مغايرة اللغة، والعادات والتقاليد، والأفكار والانتماءات، لا بل قد يشمل حتى الهوية الدينية وممارسة الطقوس. إذ يشير المضمون النصي إلى انسلاخ الهوية الفردية بفعل التطبع والاختلاف.

يكمل (عادل) حديثه مع (وفاء) ليقف عند مواطن الاختلاف الذي حدث في هويته فـ**(قال لها بأن لا روح لهؤلاء البشر هنا ولهذا يشعر بالموت. لم يستطع الاندماج مع أصدقائه من العراقيين والعرب للهوة التي كانت بينه وبينهم)**[١١] ، فهو ينظر للمجتمع الذي يعيش فيه، على انهم لا يملكون أرواحا، فقط أجساد تمشي دون حياة تنبض داخلهم، فكأن هذا الشيء جعله يشعر بالموت، وقد يكون ذلك بسبب عدم وجود حياة اجتماعية يتقاسموها. مما حلف ذلك لاحقا إلى صعوبة اندماجه مع أصدقائه العراقيين والعرب، وهي قد تكون إشارة إلى الاختلاف الحقيقي ما بين المجتمعين، كونه قد تعلم وتطبع على وفق النموذج الغربي الذي يراه بلا روح، وبلا حياة اجتماعية متبادلة. من خلال ذلك يتبين تحول الهوية الفردية لدى (عادل)، الذي بات منسجما مع ما فرضته عليه أوضاع المجتمع الغربي الساكن، مما أدى به إلى صعوبة استرجاع هويته السابقة خاصة مع أصدقائه من العراقيين والعرب منهم.

يختار (سالم) تمييز هويته الفردية من خلال المغايرة للذوق العام، فهو **(برغم هيئته الرزينة تلك يرتدي دوما ما يصرخ من الألوان. لم يعر اهتماما لانتقادات البعض أو تعليقات الأصدقاء. لم يتردد بلبس البرتقالي الصارخ، والبنفسجي. كان يقول لها بأن الألوان تكشف عن خفايا النفس ونوازعها. انتقاء اللون محرك ومؤشر للدواخل)**[١٢] ، (سالم) الأستاذ الجامعي، صاحب الحضور الرزن بين طلابه وزملائه لم يمنعه ذلك من ان يتخذ لنفسه هوية مغايرة فيما بينهم، فقد كان يرتدي من الألوان ما يكون مشعّاً وصارخا، دون ان يعير اهتماما لأية انتقادات قد تطلق عليه أو تعليقات غير محببة من قبلِ أصدقائه، فلا يمتنع عن ارتداء الألوان من البرتقالي الصارخ أو البنفسجي، إذ يعتقد أن الألوان تكشف عن خفايا النفس وما يتنازع فيها، فيجعل الألوان الفاتحة والصارخة دلالة لما في داخله وما يشعر به، وقد يكون صائباً إلى حد ما في اعتقاده، فنلاحظ عند الحزن يميل الفرد إلى اختيار اللون الأسود أو المجموعة القاتمة من الألوان، لكن مع ذلك يبقى الذوق الفردي مؤشراً مابين فرد وفرد. وعليه يمكننا القول ان الهوية الفردية لـ(سالم) هوية مغايرة ومختلفة تميز بها وحده داخل منظومة المجتمع الذي يحيطه.

تمثيل الهوية المتغيرة في رواية عندما تستيقظ الرائحة:

في رواية (عندما تستيقظ الرائحة) تكشف لنا الساردة نوازع (رضا) الداخلية ليسبح ضد التيار الذي يجد أنه تيار متحجر لا يصلح لان يكمل معه ما يريد، **(كان رضا مسكونا بهاجس السباحة ضد تيار القطيع المتحجر)**[١٣] ، فيختار بدلا عن اتباعهم مخالفة المعتاد والسباحة عكس التيار السائد، إذ يرى فيه تيارا ذا افكار أو قيم متحجرة لا تجديد فيها ولا اصلاح، مشيرا بذلك إلى شيء بالٍ لا يناسبه؛ لأنه امتلك هويته الفردية المغايرة الرافضة لاتباع المجتمع أو الوسط الذي يحيط به.

يعلن (رضا) نفوره أيضاً من طبيعة الممارسات التي تعمل بها دول اللجوء فينتفض قائلاً: **(تجسس ومراقبة في كل مكان، الله اكبر، تتدخلون في أدق تفاصيل حياتنا، لم اعد أثق بشيء وبأحد هنا إطلاقا)**[١٤] ، إذ ان عمليات التجسس والمراقبة في كل مكان تجعل منه شخصا لا يثق بأي شخص ضمن هذه الدولة، فهو لا يعلم من هو معه أو ضده، لذا يدخل هاجس الشك إلى نفسه مما يجعله شخصا عديم الثقة بكل التحركات من حوله، فضلا عن انعدام الخصوصية التي يجب ان يتمتع بها كل فرد، لكن (رضا) عُدمت خصوصياته، فهو يرى ان دول اللجوء من خلال مؤسساتها تتدخل بأدق تفاصيل الفرد المهمة منها والعابرة. فهو من خلال رفضه وثورانه يعلن عن تغيير هويته السابقة ليبدو بهوية الشكاك ومن لا يثق بالأشخاص وأفعالهم. الأمر الذي دفع به للقول: **(مللت وضعي، مللت حظي، لا أشعر بقدرتي على المواصلة. لا احد يمكنه مساعدتي)**[١٦] **إذ** يكشف عن وجهة نظره من خلال تذمره ويأسه، فهو يائس من حياته ولا يملك اي قوة للمواصلة، وذلك بسبب ما صارعه من ظروف قاسية، يصفها بالقول: **(ليس لديكِ أدنى فكرة عما مررت به من ظروف، تسفير، سجن، ضرب، مرض، إهانات، خيانات، غربة، أنتِ لا تعرفين ما بي الان)**[١٧]. كل هذه الظروف صنعت منه شخصا معطوبا تغيرت قناعاته وما عاد يجد في أفعال وتصرفات البشر إلا مثاراً للشك والريبة وانحسار الثقة، فهو محمل بكل الأعباء التي أسقطها الوطن عليه، فقد هاجر منه ولم يهاجره، فهذه الصراعات جعلته ناطقا بهويته الفردية المغايرة عبر سرده لما وقع عليه.

ما عبر به (رضا) وكشف عن انفعاله إزاء الحياة، رافضاً بؤسها ومتاعبها، حملته (نرجس) في داخلها بكل صمت، **و(يقال بأنها، طيلة فترة صمتها، كانت ناقمة على شعبها)**[١٧] ، فأسرت معاناتها وحرمانها الزواج وتقدم العمر دون شريك، في نفسها، إلا أن هذه الأحاسيس جعلت منها شخصية ناقمة على مجتمعها والمدينة التي تقطنها. وهذا ما يجعلها شخصية مغايرة للمحيطين بها. وقد أحدث تقدم العمر لديها أزمة نفسية نقلتها الساردة (مروى البصري) بقولها: **((نرجس أختي غير الشقيقة ... يكاد فارق العمر أن يكون معدوما بينها وبين أمي. ولكنها بقيت تنكر تلك الحقيقة طيلة حياتها. كانت تنادي أمي بـ (الحجية) أو زوجة الأب لتؤكد لنفسها ولأمي بأنها هي الأصغر)**[١٨] ، فـ(نرجس) من ناحية العمر تكاد تكون أقرب لعمر والدة (مروى البصري)، إلا انها أثرت على نفسها ذلك وأبت ان تعترف بهذا الفارق البسيط متخذة من لقب الحجية لوالدة (مروى) أو زوجة الأب، سببا لتأكيد أنها الأصغر عمرا، فهي لا تحتمل ان تكون زوجة الأب بعمرها وتتمتع ببيت الزوجية مقابل ذلك هي دون زواج، فمضمون النص يشير إلى تخلي (نرجس) عن هويتها العمرية الحقيقة.

أما شخصية (نهلة) فتبدو مختلفة عن باقي اقرانها، فقد كانت: **((نهلة ودون كل البنات لا يمكنها الانتظار، سواء أمام حانوت المدرسة أو في حلولها ضيفة على احد. هكذا نعرفها، انها من بين**

المجموعة من تتميز بمطالبها الفردية. هي التي تحرص على الاستجابة لما تهوى. تفرض علينا ما تشتهي فنقبل به. انها من تتملص من التزام الجماعة فتأتي وتذهب متى تشاء))[١٩] ، تظهر شخصية (نهلة) المختلفة عن باقي البنات كونها عجولة وملولة، تأخذ طباعها معها أينما حلت، وكل ما ترغب به (نهلة) وتشتهيه تفرضه فرضا على باقي افراد مجموعتها. لا تتحدد بمواعيد ولا تلتزم بالتزام الجماعة فهي تتملص من هذا الالتزام على وفق أهوائها، فتأتي وتذهب متى ما أرادت ذلك دون قيد أو شرط. كل ذلك يظهر هويتها الفردية المغايرة مقارنة بالشخصيات التي تحظى برفقتهم، فهي ذات هُوية متحكمة وأنانية، تقدم نفسها وأهواءها على اختيارات الجماعة.

ولا يتوقف ذلك على نطاق الصحبة والأصدقاء ومساعي السير على وفق أهوائها، واستعمال أساليب شتى لنيل المبتغى سواء بتمردها أو توسلها، لا بل حتى طرائق تحايلها أو إذا لزم الأمر تهديداتها. **(هي نهلة فقط، من تتمرد، تتوسل، تحتال، تهدد. اختارت حبيبها فاعترض الكل. عمرها الفتي، تقول الأم، مستقبلها الدراسي، يصيح زوج الأخت، شيعة، تبعية، شيوعيون، يعترض العم، يُستدعى الخال فتصرخ؛ ليس هناك من يقرر عني)**[٢٠] ، فحينما ارادت الارتباط بالحبيب الذي اختارته لم يوافقها الرأي أحدٌ فاعترضوا على ذلك، خشية عمرها الصغير ومخافة تدهور مستقبلها الدراسي، فبدأت المعارضات تظهر من هنا وهناك رفضا لهذا الحبيب المتقدم، فيقول زوج الأخت بأنه مرفوض كونه شيعيا فينظر له على انه تبعي، لا بل حتى شيوعي، ولا يختلف موقف العم عن موقف زوج الأخت بالرفض، فيكمل ذلك الخال رافضا لهذه الخطوة التي جاءت بها (نهلة)، فتعترض ثائرة صارخة مناهضة للجميع وتؤكد انه لا احد باستطاعته ان يقرر نيابة عنها، فالأمر كله مناط بها. لتبرز شخصية (نهلة) الرافضة للتقاليد المتبعة، كون الأهل لهم الخيار والسلطة فيمن يتقدم لابنتهم إذ حين يجدونه مناسبا يعلنون موافقتهم على اتمام الخطبة، وإن كان عكس ذلك فالبنت تذعن لما هو متعارف عليه، إذ لا سلطة تعلو على سلطة الكبار الذين هي تحت كنفهم من ذويها، لكن (نهلة) كان لها الرأي والسلطة والخيار فهي من قررت فعل ما تريد عازفة عن الاستماع لكل أسباب رفض الأم والعم والخال للحبيب (رضا) لتظهر بوصفها شخصية مغايرة لا تتشابه مع ما هو متعارف عليه وشائع اجتماعياً.

عندما سافرت (نهلة) إلى الدنمارك قامت بتغيير اسمها، **(أخبره بأن اسمي الحالي هو "هيلينا")**[٢١]، وعندما قدمت (نهلة) إلى المحكمة طلباً لفض عقد الزواج وإكمال أوراق الطلاق، حينها لا بد ان تلتقي بزوجها (رضا) لتخبره حينئذ ان اسمها الحالي هو (هيلينا)، فالاسم الجديد هو بمثابة جزء منها تمنحه تقبلا تاما فتقول: **((اسمي الجديد هو جزء مني. الأمر ليس صعبا أو غريبا. مجرد مكالمة إلى الجهة المسؤولة تُنهي ومجانا صفحة طويلة عريضة مسخمة مربكة من حياتي. أنا التي اخترته، لا أبي ولا أمي أو غيرهم))**[٢٢] ، فتبين أن تغيير الاسم واختيار اسم جديد يأتي على وفق رغبتها الشخصية، دون تدخل او

فرض من قبل الأب أو الام او غيرهما، ليذهب الاسم القديم (نهلة) بكل المعاناة والحوادث والصفحات التي ارتسمت عليها عذاباتها، واصفة ذلك بأنه صفحة طويلة عريضة مسخمة ومربكة من حياتها، فجعلت من تغيير الاسم بداية حياة لها، فاتخذت من اسم (هيليا) هوية لها، تاركة خلفها الاسم القديم بما يحمله وراء ظهرها. من خلال ذلك نلحظ تغيرا واضحا ومباشرا في الهوية الفردية من خلال تبديل عنصر أساسي من عناصرها، وهو الاسم الشخصي، مما يدل على ان شخصية (نهلة أو هيليا) هوية مغايرة.

لم تكتفِ (نهلة) بتغيير الاسم وحسب، بل تعدى ذلك إلى انها **(سخرت من الحزب، رمت الكتب والمجلات والنشرات الثقافية العراقية)**[٢٣] ، إذ سخرت من الحزب الشيوعي الذي كانت تتابع أخباره وتقدمه وتهتم بكل ما يعنيه، خاصة وان ولاء زوجها (رضا) كان لهذا الحزب، فتخلصت من كل ما يمت بصلة لواقعها القديم، عندما قررت الانفصال عنه، فلم تبقِ على كتاب أو مجلة أو نشرات ثقافية، واختارت ان تحمل هوية جديدة، متخلصة تماما من أعباء الماضي، فأضحت هويتها الفردية مغايرة لما كانت عليه سابقا، فقد تخلت عن هويتها الشخصية السابقة والمتمثلة بالهوية السياسية أو الثقافية أو الإيديولوجية. إذ جاءت بطابع فكري ونفسي جديد أرادت من خلاله ان يكون أولى الخطوات من بعد تغيير الاسم والمعتقد السياسي والثقافي، ومنه: **(سأبني مملكتي، أمارس هوايات جديدة، أتعلم لغات أخرى، اخلو لنفسي، أسافر مع الطفلين ونلعب سوية. سأنطلق حيثما شئت في هذا العالم الرحب. أقصدُ البحر، أعوم فيه بلا خوف، أشرب ملحه، أنام على رمله الحار لساعات، ألتذُ بنعومته. لا أكف عن امتناني لهذا المجتمع الذي يمنحني فرصة التنعم بكل هذه الخصوصية والحرية)**[٢٤] اختارت (نهلة) خلع رداء التحكم بها مع أول فرصة سنحت لها، فأرادت على إثرها أن تقرر حياتها كيفما تشاء على وفق أهوائها، تتعلم، تسافر، تلعب، تنطلق بحريتها دون تكبيل من الأسرة، الزوج أو المجتمع، وهذا ما جعلها لا تكف عن شعور الامتنان لهذا البلد منحها الحرية التي ترجوها، خاصة وانها باتت رافضة لواقعها السابق والسلطة المتحكمة بها آنذاك عندما كانت تقطن مع أسرتها. ويتبين ذلك أيضا من خلال قولها: **((أختار أخيراً ألا أرد على رسائل حذرة خائفة تصلني من أهلي.... هي معنونة إلى نهلة أخرى؛ إلى نهلة صباح وليس لي. رسائل لا تُظهر رغبة كاملة حقيقية بالتواصل معي والخوف علي. لن يتغير في رسائلهم شيء. وما زالت السلطة تسطع بين الأسطر،... تذكر بنفس الوقت، بكلمات محافظة أنانية، بسلطة الأهل علي كامرأة وسمعة العائلة. أشعر بالضجر لهذا الطنين والتكرار والهياج غير المحتملين. يفوق الواحد فيهم الآخر بجهله، لكنهم ما زالوا يتبارون في إثبات سلطتهم على بعضهم))**[٢٥] ، حينها تختار الا ترد على الرسائل الواردة من أهلها والتي تكشف عن وجود السلطة بين الأسطر التي تتخللها عبارات الأنانية المحافظة، معبرة عن هذا التواصل بأنه تواصل غير حقيقي ولا ينبع من مشاعر صادقة وإنما هو بدافع التذكير بسلطة العائلة، وخصوصا على المرأة حفاظا على سمعة العائلة لكي لا تتبدد، خاصة وان هذه المرأة تقطن في ذلك البلد الغريب. فتنظر لهم

على انهم يطنطنون ويكررون ما اعتادوا عليه بجهلهم، فهم يتبارون في حلبة يمارس كل من فيها سلطته على الأخر، فتضجر من كل هذه الترهات متخذه موقف عدم الرد وعدم الاعتراف بهويتها القديمة (نهلة)، مبررة لنفسها ان هذه الرسائل تتوافد على الشخص الخطأ.

نخلص من كل هذا إلى أن هذه الشخصية ترفض السلطة التي كانت تمارس عليها، فتخرج من شرنقتها إلى هويتها الجديدة، عازمة على البدء من جديد وهذا بحد ذاته مغايرة في الهوية الفردية التي تتمتع بها الشخصية الروائية (نهلة). فهي ذات هوية ثورية على التقاليد والقيود الاجتماعية. ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب بل كانت ((**نهلة تختار إذن أن تغير حياتها، تأكيدا لإعلانها المقاطعة لنا جمعيا**))[٢٦] ، فهي اختارت ما تريد وقاطعت كل ما يمت بصلة للماضي، تعرت تماما من (نهلة) التي قبعت في ذاتها لسنوات، فتركت وقاطعت الجميع وحتى صديقة مراهقتها والشباب (مروى البصري).

تمثيل الهوية المتغيرة في رواية منازل الوحشة:

ما اتخذته (نهلة) من عزلة وابتعاد يكاد لا يختلف عما اختاره بطل رواية (منازل الوحشة) (أسعد) إذ ((**ابتعد أسعد وانزوى هو الآخر ولكنه لم ينجُ. كان قريبا من الشيوعيين لفترة قصيرة من شبابه جعلته موصوما. لم يستطع إبعاد الشبهة عنه بوصفه شيوعيا ولم يكن ذلك بغريب؛ تبقى هذه الشبهة مثل لعنة تلاحق المرء حتى القبر. ... لم يكن من سبيل أمامه غير الانزواء**))[٢٧] ، تعرض (أسعد) إلى الفصل في العهد الدكتاتوري، فمكث وانزوى في بيته حاله حال الكثيرين ورغم كل ذلك لم ينجُ من أطراف الإخطبوط، ففي مرحلة ما كان (أسعد) قريبا من الشيوعيين، مما جعله ذلك موصوما بتهمة الانتماء لذلك الحزب، ولم يستطع إبعاد الشبهة عن نفسه، فقد بقيت هذه الشبهة تلاحقه أينما حل، وكأنما هي هُوية راسخة فيه لا مفر منها، فلم يكن امامه من سبيل إلا ان ينحسر عن الوجود الفعلي، فينزوي داخل بيته ويغيب عن الحياة الخارجية، متخذا من العزلة ملاذا له، ليصبح عندئذ ((**إنسانا كئيبا قليل الكلام**))[٢٨].

بعد تحولات ٢٠٠٣ وسقوط النظام البعثي، عاد (أسعد) إلى وظيفته من جديد، لكنه بقي متوجسا من محيطه الوظيفي ((**أسعد حاول أن يتحاشى المعممين الذين ظهروا في الجامعة**))[٢٩] ، فهو كان يتحاشى كل الشخصيات التي بدأت تظهر بأشكال مختلفة بعد سقوط النظام ومنهم بعض المعممين الذين كشفوا عن انتماءاتهم الفرعية داخل الحرم الجامعي، بعدما أصبح ذلك يسيرا بفعل الديمقراطية والحرية حديثة العهد في المجتمع، فيبدو (أسعد) متحفظا على نفسه، فضلا عن محاولة تأكيد اختلافه ومغايرته. ومع كل تلك الحيطة لم يسلم، فعاش معاناة أخرى على أيدي الجماعات المسلحة، إذ وقع ضحية خطف غادر، و((**بعد اختطافه أغلق أسعد الباب عليه مخفيا معاناته ومخاوفه**))[٣٠] ، جعله حدث الاختطاف شخصا منطويا على نفسه

يعيش عالمه في داخله فيخفي معاناته، ومخاوف ما تعرض إليه؛ وذلك لأن **(الطريقة التي تم اختطافه فيها خلفت فيه إنسانا معطوبا يسير في البيت مثل آلة)**[٣١].

توضح الساردة (ام سلوان) مخلفات ما آل إليه الوضع بعد احداث ٢٠٠٣، من ابتزاز وخطف وقتل، وهي تشير إلى الأثر النفسي الذي تركه العنف في هوية الفرد، فعندما تعرض (أسعد) للخطف قام بترك دوامه كأستاذ في معهد الفنون الجملية، ليلزم البيت فينزوي فيه مثل آلة معطوبة غير صالحة للعمل. فهو بذلك يحاول ان ينافي حقيقة وجود الإنسان وهو التعايش في هذه الحياة، هو كان **(يهرب من يقظته ليس إلا)**[٣٢]. ومع كل تلك المحاولات التي يخرج بها (أسعد) يبقى العالم الخارجي ذا انعكاس قوي جدا على نفسية الإنسان داخل بيته، فتؤكد الساردة ذلك بقولها: **(بيد أن الفوضى والفساد راحا يشيعان، والتخلف الذي ملأ الشوارع مرمر فمه. قال إنه لم يعد يستسيغ شيئاً؛ ... لم يعد ينسجم مع وسطٍ بدا له غريبا هجينا)**[٣٣] ، فالفوضى والفساد والتخلف الذي بات منتشرا في الشوارع جعله لا يستسيغ هذا الواقع لا بل مرمر فمه من كثره الحنق والتذمر والبؤس، فهو لا يشعر بأنه قادر على ان ينخرط في هذا الواقع الغريب والهجين. فاتخذ من الهروب ملاذا له لكي لا يكون واعيا ويقظا لما يدور ويحدث. مما دفعت به كل هذه الصراعات النفسية والاجتماعية داخل بلده بفعل الحرب وانعدام الأمن إلى الهجرة نحو عمان ليتخلى بذلك عن كل مسؤولياته الاجتماعية والثقافية، فضلا عن مسؤولياته العائلية بوصفه أباً وزوجاً. لكن حتى هذه الهجرة لم تصلح من وضعه النفسي، ولم تجعله ينخرط فعليا داخل المجتمع الذي اختاره، فقد **((مل نفسه وأصدقاءه، مل إدمانهم على الحال ذاته))**[٣٤] ، ومل الحياة الرتيبة التي لا طائل منها. فيظهر بصورة تكون أشبه بالشخص المعتل الفاقدِ لمتعة الحياة وسلوتها، **((لا إيقاع ليومه وهو ينوي استغلال وقته. لقاءاته بالأصدقاء على العموم مجرد تأكيد لشعور بالخذلان مما حدث ويحدث له))**[٣٥] ، فهو يعيش يومه فارغا من دون اي إيقاع يمكن له ان يضفي على يومه شيئا، حتى التجمع مع الأصدقاء ما هو إلا تأكيد لنفسه على كمية الخذلان التي خُلفت في داخله.

زخرت التكوينات السردية التي جاءت بها الساردة (أم سلوان) بالتمثيلات التي جسدت حياة (أسعد) من صراع نفسي وملاحقات سلطوية وفصله عن اداء دوره داخل المجتمع ثقافيا واجتماعيا، بل زاد ذلك عندما تعرض لحادث الخطف الذي يصف حاله حينها بقوله **((وكأني صرتُ حيوانا بدأت تنبعث منه رائحة ذعر لأقل ما يحدث من حوله))**[٣٦] فينظر لنفسه وهو مخطوف أشبه بالحيوان المقيد في صندوق السيارة الخلفي ليجعل منه ذلك شخصا مذعورا، ولذلك يختار الهجرة هروبا من الواقع، لكنه يحتفظ رغم ذلك بشرخ داخلي، إذ لم يستطع ان يستوعب ما آلت إليه كل تلك الاحداث وكل تلك المتغيرات التي عصفت بحياته وجعلته شخصا مشردا عن عائلته، فضلا عن شعوره المتكرر بأنه داخل مجتمع غريب هجين لا ينتمي له. كل ذلك جعل منه شخصا ذا هُوية مغايرة لا تشبه حياة الأشخاص الذين يتمتعون بالاستقرار.

تتميز شخصية (جدة سلوان) بمزايا عديدة تجعلها مختلفة بطريقة خاصة بها، ويأتي ذلك على لسان ابنتها الساردة (أم سلوان) التي تصف تلك المزايا بقولها: (**أحفظُ كلماتها وكنتُ شاهدة في صغري على طقوسها. كانت وما تزال تودعُ نهارها بطريقتها الخاصة. تذهب بتهيؤ تام وبعناية فائقة إلى فراشها، معطرة، حاسرة الرأس، ممشطة الشعر، بثوب نوم مغسول ذي ألوان فاتحة لا يحدث أن رأيته نهارا. تفعل هذا إن كانت متزوجة أم مطلقة. تفعله لنفسها**)[٣٧] ، تعوز (أم سلوان) مميزات والدتها، فهي تحفظ كل كلماتها، وكانت شاهدة على كل تلك الطقوس التي تتبعها في مسار يومها، فلم تترك (الجدة) طقوسها يوماً، لا في الماضي ولا الحاضر، يظهر ذلك من خلال اتباع طقوسها وعاداتها الخاصة في توديع نهارها. هي لا تتقيد بقيد لتفعل ذلك ولا تفعله لأحد إنما لنفسها، فلا يهمهما إن كانت متزوجة أم مطلقة لتقوم بتلك الطقوس اعتباراً للزوج، لا بل تجعل كل ذلك هبةً لنفسها فقط. فهي كعادتها (**غير آبهةٍ سوى بعطرها الذي يدنيها من ورد ملكة الليل. حتى الليل كانت تُحضره حين تعتلي كرسيا صغيرا لتستبدل المصباح بآخر أزرق صغير فتجعل من الدخول إلى مملكة النوم احتفالا يميزها عن البشر**)[٣٨] ، (جدة سلوان) التي تقدم نفسها على كل شيء، لا تأبه سوى للعطر الذي سيجعلها فواحة كورد ملكة الليل، وكأن لليل معها حكاية، وكأنها تودع زرقة النهار لتتخذ لنفسها زرقة خاصة في الليل على حسب ما تهوى، فتدخل ذلك العالم الذي نسجته، وتذهب به إلى مملكة النوم باحتفال. كل هذه الصور والطقوس المتبعة في توديع النهار واستقبال الليل، وحب الذات ومراعاتها، تجعل من (جدة سلوان) شخصية فريدة تتميز عن غيرها من النساء، وقد أكدت ذلك الساردة بنفسها عندما جعلت من كل هذه الطقوس والمراسيم شيئاً خاصة بها، (**يميزها عن البشر**). ولم تكن هذه النظرة مقتصرة على (أم سلوان) فقط، لا بل حتى (أسعد) كان ينظر إليها وكأنها (**ابنة الحياة، كما يسميها أسعد**)[٣٩] ، كونها لا تأبه لشيء، لا تسمح لشيء أن يعكر صفو مزاجها، تهتم بأدق تفاصيلها، فهي ابنة الحياة مهما بلغ العمر بها، ينبع الشباب والاهتمام من داخلها فينعكس ذلك على تصرفاتها الخارجية. بيد ان ما يميزها أيضا هو ((**عنادها. هي على أية حال لم تكن تخشى شيئا في حياتها، ولم ترتجف لا لأمريكي ولا لعراقي ولا لإيراني**))[٤٠] ، (جدة سلوان) المعروفة بالتزمت برأيها وعنادها الشديد فيما لو أرادت فعل شيء ما، لا توجد قوة لردعها عن ذلك، في لم تكن تخشى أي شيء على الإطلاق في مسير حياتها، ولا يدخل الخوف إلى قلبها، فهي لا تحذر أو ترتجف أمام جندي أياً كانت جنسيته. هي شخصية ذات عناد، لا تخشى أحداً، ما يجعلها شخصية متميزة ومختلفة ومغايرة. وليس هذا فحسب بل ((**هي لا تثق بأحد. تعيش في شك تجاه الناس كأنه مزروع في داخلها. ظل ذلك الشعور يحرمها من الاطمئنان ولاسيما إلى رجل وإن كان ابنها**))[٤١] ، كما كانت ((**تعيش لنفسها**))[٤٢] ، حذرة دائما لا تثق بأحد، فالجميع تحت الاختبار، فلا يسعها ان ترى الناس إلا بهيئة المشكوك بأمرهم، حيث ان هذه الخصلة جعلت منها مسلوبة الاطمئنان والثقة بأحد، وخاصة بالرجال، حتى وان كان ابنها. وقد يحمل لنا حذرها هذا وخاصة من الرجال كونها قد عاشت وسط

بيئة مفتوحة وعملت مع أبيها في الصيد، وفتحت بيتها فأجرته للمستأجرين، وعملت في السوق، وتزوجت ثلاث مرات، فاختلطت كثيراً بالرجال وصارت على معرفة بكل توجهاتهم ونواياهم، مما زرع الشك في داخلها، إلى أن أصبحت امرأة لا تثق بأحد. فهذا الشك والحذر الدائم يجعل هويتها من هذا المنظور هوية مختلفة ومغايرة؛ كونها لا تستطيع ان تتعامل مع الناس على وفق التعامل الطبيعي، بل تلتزم الحذر الدائم.

أما (أسل) فتظهر بزهو عال لامتلاكها اسما يجعل منها ذات هوية متميزة ومتفردة، فتنقل الساردة ذلك فتقول: ((**قالت إن اسمها (أسل). أبوها هو الذي اختار لها هذا الاسم برغم اعتراض الآخرين. قالت إنها تحب اسمها فهو يُشعرها بالتفرد**))[٤٣] ، فما يميز اسمها الذي اختاره لها أبوها كونه غير دارج، لم تألف الاذن سماعه، لكن وبرغم ذلك كله فهي تحبه، لا بل تشعر بفخر و زهو كونها تحمل هذا الاسم، مما يجعلها متفردة وسط الجميع. وعليه نستطيع القول ان الهوية الفردية لـ(اسل) حملت طابعا مغايرا من خلال اسمها المختلف ازاء الأسماء المتعارف عليها والشائعة.

تمثيل الهوية المتغيرة في رواية بطنها المأوى:

تبدو المغايرة أيضاً لدى بطلة رواية (بطنها المأوى)، (مريم) التي لم تكن على وفاق مع أمها بل كانت مختلفة تماما عنها، فهي شخصية غير مقتدية بالأم ولا تعلن انتماءها لها، فان ((**اختلافها مع امها لم يكن مجرد اختلاف، بل سبب كل ما اندفعت تجاهه في حياتها**))[٤٤] ، فالاختلاف القائم جعل من شخصية (مريم) مغايرة تماما، وبسبب هذه المغايرة سلكت (مريم) تلك الطرق التي اندفعت فيها خلال حياتها التي لم تنعم فيها بالاستقرار والرضا. فمنذ بداية حياتها كان الوضع الذي عاشته (مريم) مريراً ((**كيف لا والأم ولدتها على أرضية سجن! الأب سياسي، والأم سياسية، ولدا ابنة لا تشبههما**))[٤٥] ، فالأم كانت تحمل حماس واندفاع شبابها لتولد ابنتها البريئة على بلاط السجن، من أمٍ وأب سياسيين، لكن البنت تعلن نفورها من تلك الصلة، فتظهر على هيأة لا تشبههما وان كانت ابنة لهما، إذ امتلكت هوية شخصية مغايرة لما من المفروض ان تحمله عن والديها.

(مريم) لا تقبل بأي شيء وتعترض على كل شيء، إذ انها وكما يرد على لسان الساردة: ((**تصرخ محتجة تلك الابنة، على كل شيء وهي تتلقم ثدي امها، عندما لا توافقها صديقة على رأي، حين لا يعجبها ضيف ما، وحتى اسمها، غيرته ما إن شبت. ... وفاء، مريم، لمى، جماهير**))[٤٦] ، محتجة دوما منذ ان كانت رضيعة وحتى الكبر، تظهر دائماً بوصفها شخصية رافضة ومعارضة ومعتدة بنفسها ورأيها، ولا تقبل أياً كان في محيط تواجدها، وحتى اسمها قامت بتبديله أكثر من مرة. ولهذا تواجه بالتساؤلات: ((**تهربين دوما، حتى اسمك، وما علّتها الهوية تغيرينها كل حين؟**))[٤٧]، وكأنها في صراع دائم مع هويتها الفردية، فلا تلبث ان تستقر على هوية واحدة، فتغير اسمها مرة إلى وفاء ومرةً مريم، ومرةً لمى، وأخرى جماهير. كل

هذا يجعل منها شخصية ذات هوية متغيرة رافضة للواقع الذي زُجت فيه، فتسعى ثائرة لان تشفي نفسها من خلال إعلان الاحتجاج والرفض وتبديل الاسم والهوية من حين إلى آخر.

(مريم) ودون كل الأخريات ((**لا يشغلها الاستقرار، فكرة البيت وهم، حيلة انتهى زمنها. ... تجربة الزواج تغليف لشيء، من المحتمل أن يكون خطأ، بيت الدمية هذا شبكة مهترئة، مراوغة للنفس قبل الآخر**))[٤٨] ، فهي لا يشغلها الارتباط والزواج والعيش ضمن دائرة مستقرة، كونها تعتبر ذلك ضرباً من الوهم والحيلة التي مضى عليها الدهر، فضلا عن كونه – الزواج – مراوغة للنفس قبل الآخر، فما هي تجربة الزواج إلا كبيت دمية، مثل شبكة مهترئة، مغلفة بشيء لا يصح الا ان يُقال عنه خطأً. فهي تبدو بذلك مغايرة عن أغلب الفتيات اللاتي يسعين للحصول على الزوج والبيت والاستقرار والعيش داخل منظومة الزواج.

لا تلبث (مريم) الا ان تصرح بكل اختلافاتها فتقول: ((**أنا المدينة التي تعترف بذنوبها. بانتظار اعترافات سادتها الجبناء. أنا الأشجع، أنا العارية بإباء وورقة التوت لئلا اخدش حياء الآثمين. أنا لائحة المدينة الخربة منتصبة في كل طريق لأشير إلى الجمال الذي عبثت به الحروب، أصر مثل ذاكرة على التحرك أينما تحرك العابرون، غير الآبهين بالتاريخ**))[٤٩] ، كل ما جاءت به وأفصحت عنه في ما يخص الأنا، ما هي إلا اعترافات تشير إلى المغايرة والاختلاف، فهي المدينة التي لا تخفي حقيقة اعترافاتها بذنوبها، لابثة منتظرة اعتراف الجبناء من سادات هذه المدينة، فهي الأشجع من بينهم لا تخفي ولا تخاف حقيقة اظهار ذنوبها. تجعل من نفسها لائحة المدينة المنتصبة في كل اتجاه لتشير إلى الجمال الذي عبثت به الحروب، تتحرك أينما يتحرك العابرون، غير مهتمة بالتاريخ وما يُسجله. فهي لا تقبل بالثبات ولا تتوقف عند قناعة واحدة، وهذا يؤكد هويتها المتغيرة. فهي لا تُخلص لأي هوية على الإطلاق، إذ انها ((**قد نفرت من اليساريين من أبناء جلدتها**))[٥٠] ، فتظهر عدم التلاؤم والتكيف مع اليساريين والذين هم بمثابة القوم من أبناء وطنها، فلم تحسن ان تبقى منتمية للحزب الشيوعي ونفرت منه. إضافة إلى هذا، فهي لا تثق بأي احد حتى عندما تركت العراق، فبقيت في شك دائم بالجميع، فتخاطب صديقها (عامر) قائلة: ((**صدقني، يريدوننا سمكاً ميتاً، يطفو على سطح الماء**))[٥١] ، فهي ترفض أن يكون مصيرها بيد غيرها أو أن يكون مصيرها مجهولاً، كما تحتج من أي انتقاص من كرامتها الإنسانية.

لا تقتنع (مريم) ولا تستقر أبداً، مهما حصل لها ومهما جرى: ((**وهي وإن حصلت على لجوء منذ سنوات من دون إشكال يذكر غير قانعة، لا بعدالة الأرض، ولا بعدالة السماء**))[٥٢] ، فحتى اللجوء الذي حظيت به دون عناء، ومنذ سنوات عدة، وهو ما يبدو حلماً بعيد المنال للكثيرين، لا يجعلها قانعة وراضية، بل هي غير مقتنعة بكل شيء، فلا هنالك عدالة في الأرض ولا حتى في السماء من وجهة نظرها. وكأنها أشبه بالشخصية المتذمرة من كل شيء، عازفة عن الحياة دون قناعة وتقبل لأي حدث يحصل. ولذلك بات

واضحاً أن هوية (مريم) الفردية هوية متحولة مغايرة لكل ما هو طبيعي ومقبول في هذه الحياة، فهي تعيش في شك دائم وعدم رضا ورفض لأي شيء، كما أن لها أفكارها ومعتقداتها الخاصة وأسماءها المتعددة.

أما (عامر) صديق المنفى والأحاديث المشتركة والبلد الواحد لا بل حتى شريك المدينة التي ولدا فيها هو وصديقته (مريم) فيبدو على العكس منها، ويظهر ذلك من خلال قول السارد: ((**هاني هو عامر أصلا، الشاب الذي استرجع اسمه بنفسه عبر رحلته في المنفى، في محاولة مستميتة منه لربط الروح الهائمة بالجسد الرخو، والرأس المشوشة، في وحدة واحدة**))[٥٣] ، نُفي (عامر) خارج بلده من قبل خاله قسرا، خوفا عليه ولحمايته من جراء ما يحصل بسبب الحرب والحصار، إلا انه لم يحصل على الإقامة في دول اللجوء، بعدما تنقل من دولة إلى أخرى، ما دفع به ذلك للعودة إلى الوطن، وأول ما عمل عليه حين عودته هو استرجاع هويته الشخصية والمتمثلة في اسمه، فبسبب النفي غير خاله كل أوراقه الثبوتية بمستمسكات مزيفة، فأصبح يحمل هويةً مغايرة لهويته الأصلية، إذ غُير اسمه من (هاني) إلى (عامر). لكنه أبى إلا أن يسترجع تلك الهوية حينما عاد لدياره، محاولة منه لربط روحه بجسده بعدما انفصلا مدةً طويلة، وبحثاً عن الاستقرار والهدوء لرأسه المعبأ بالأفكار المشوشة والذي جال ارجاء المعمورة بحثا عن اللجوء والأمان ثم عاد من حيث بدأ.

الخاتمة :

تزخر روايات (دنى غالي) بالكثير من التمثيلات السردية للهوية المتغيرة، التي تتوافق مع نمو الشخصيات، ومحاولة إعادة بناء الذات، وزيادة الوعي وتطور الأفكار، فضلا عن محاولة الخروج على السلطة أو الانتماءات التي قد تكون سبباً في كبت الذات، وهذا ما يدل على ان الهُوية غير ثابتة وقابلة للتعديل والتغير والاختلاف في كثير من جوانبها ومكوناتها.

ومن خلال النماذج المعروضة يتضح لنا مدى مصداقية القول بأن الهُوية متغيرة باستمرار، غير ثابتة وغير مستقرة، فهي تتأثر بالعوامل والمستجدات والظروف التي قد تواجه مسيرة الفرد أو الشخصية، فهي في صيرورة متواصلة عبر الأفعال والأحداث والاختلاط. فالهوية لا ترتكز على مرتكزات ثابتة ذات جوهر خالص، وإنما هي بمثابة كيان متغير ومتبدل حسب الظروف والأهداف. وقد زخرت النصوص السردية بهويات متعددة، وكان منها الهوية الفردية التي انبثقت منها الهوية المتغيرة. واتضح من خلال عملية الجرد للنصوص السردية الروائية بان تمثيلات الهوية المتغيرة تفوق كثيرا الهوية الثابتة، وهذا يؤكد أن الهويات قابلة للتبدل والتغير والتطور على وفق جدلية الزمان والمكان، وتحولات المجتمع، فالهوية في عملية بناء دائمة وتجدد مستمر.

الهوامش:

١. الهوية في روايات علي بدر بعد عام ٢٠٠٣(دراسة في ضوء النقد الثقافي)، غصون عزيز ناصر، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٥، ص: ١٦.
٢. الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد ٢٠٠٣، حنان محمود جميل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، ص:٢٥.
٣. الهوية، حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص: ١١.
٤. المصدر نفسه، ص: ١٢٩.
٥. الهوية، أليكس ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٣، ص: ١٢٩-١٣٠.
٦. يُنظر: المصدر نفسه، ص: ٦١- ٦٢.
٧. النقطة الأبعد، دنى غالي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا_ دمشق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠، ص:٣٥.
٨. المصدر نفسه، ص:٢٣.
٩. المصدر نفسه، ص: ١٣٧.
١٠. المصدر نفسه، ص:١٩٠.
١١. المصدر نفسه، ص: ١٠٤.
١٢. المصدر نفسه، ص:٢٠٤-٢٠٥.
١٣. المصدر نفسه، ص: ١٨٣.
١٤. عندما تستيقظ الرائحة، دنى غالي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا- دمشق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦، ص: ٥٩.
١٥. المصدر نفسه، ص: ٤١.
١٦. المصدر نفسه، ص: ٤٢.
١٧. المصدر نفسه، ص: ٤٢.
١٨. المصدر نفسه، ص: ٩.
١٩. المصدر نفسه، ص: ٢٠.
٢٠. المصدر نفسه، ص: ٢٥.
٢١. المصدر نفسه، ص: ٢٣.
٢٢. المصدر نفسه، ص: ١٢٦.
٢٣. المصدر نفسه، ص: ١٢٦.
٢٤. المصدر نفسه، ص: ١٣٦.
٢٥. المصدر نفسه، ص: ١٥٠.

٢٦.المصدر نفسه، ص: ١٤١.
٢٧. المصدر نفسه، ص: ٢٠٩.
٢٨. منازل الوحشة، ص: ١١.
٢٩.منازل الوحشة، دنى غالي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣، ص: ٩٧.
٣٠. المصدر نفسه، ص: ٤٩.
٣١. المصدر نفسه، ص: ٣٤.
٣٢. المصدر نفسه، ص: ٤٨.
٣٣. المصدر نفسه، ص: ٩١.
٣٤. المصدر نفسه، ص:٢١.
٣٥.المصدر نفسه، ص: ٩٢.
٣٦. المصدر نفسه، ص: ٩٤.
٣٧. المصدر نفسه، ص: ٤٨.
٣٨. المصدر نفسه، ص: ٣٦.
٣٩. المصدر نفسه، ص: ٣٦.
٤٠. المصدر نفسه، ص: ٧٥.
٤١. المصدر نفسه، ص: ١٠٣.
٤٢. المصدر نفسه، ص: ٧٥.
٤٣. منازل الوحشة، ص: ٧٦.
٤٤. المصدر نفسه، ص: ١١٢.
٤٥. بطنها المأوى، دنى غالي، دار المتوسط، ميلانو_ إيطاليا، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص: ١٠.
٤٦. المصدر نفسه، ص: ١١.
٤٧. المصدر نفسه، ص:١٠٣.
٤٨. المصدر نفسه، ص: ٧٠.
٤٩. المصدر نفسه، ص: ٥٥.
٥٠. المصدر نفسه، ص: ٣٩.
٥١. المصدر نفسه، ص: ١٠.
٥٢. المصدر نفسه، ص: ٤٠.
٥٣. المصدر نفسه، ص: ٣٢.

قائمة المصادر والمراجع:

١. بطنها المأوى، دنى غالي، دار المتوسط، ميلانو_ إيطاليا، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٢. عندما تستيقظ الرائحة، دنى غالي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا_دمشق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٦.
٣. منازل الوحشة، دنى غالي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣.
٤. النقطة الأبعد، دنى غالي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا_دمشق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠.
٥. الهوية في روايات علي بدر بعد عام ٢٠٠٣(دراسة في ضوء النقد الثقافي)، غصون عزيز ناصر، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٥.
٦. الهوية، أليكس ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٣.
٧. الهوية، حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
٨. الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد ٢٠٠٣، حنان محمود جميل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.